الصوفية المعتدلون

د. محمد بن أحمد الجوير

الأستاذ المساعد بكلية الحقوق

جامعة دار العلوم- الرياض

مستخلص. يهدف هذا البحث، لبيان مواقف بعض أئمة ومشايخ ومصنفي الصوفية، الذين أنكروا سلوكيات و بدعيات المتصوفة في قضيتين مهمتين هما (السماع) و (إسقاط الأحكام الشرعية) ومن باب العدل والإنصاف، رأيت في هذا البحث، أن أسلط الضوء على مواقف هؤلاء المتصوفة، الذين نظنهم معتدلين، وقد رفضوا دعاوى غلاتهم، وأنكروها، وذلك من خلال نقل كلامهم من كتبهم، وأقوال مشايخهم، وأئمتهم، التي أنكرت على قومهم، ممارساتهم، وسلوكياتهم، في دعاوى السماع ومتو لداته من (الرقص، والنط، والصياح، والزعم، واللطم، وشق الثياب... إلخ) وإسقاط الأحكام الشرعية، حتى تقوم الحجة عليهم، ورصد ردود، وإنكار، هؤلاء المشايخ والأئمة الصوفية، ربما يكون، أبلغ في هداية أقوامهم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد،،،

فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ولقد جاء الإسلام أمراً بالاعتدال والاقتصاد والوسطية

في كل أمر، وفي كل مناحي الحياة، حتى ميزت هذه الأمة وخصت بذلك، قال سبحانه في محكم التنزيل ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

وقال تعالى آمراً بالاستقامة والاعتدال، ناهياً عن الغلو والطغيان ﴿فَاسْتَقِمَّ كَمَا أَمَرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ

وَلَا تَطْعَمُوا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ [هود: ١١٢].

ومن نعم الله علينا، أن بعث إلينا محمد ﷺ، وختم به الرسالة، وأقام به الحجة، فحذر من البدعة، تاركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك.

قال تعالى في محكم التنزيل: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

وقال ﷺ: « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد »^(١).

ومن أصول الإسلام، ومعتقد أهل السنة والجماعة، ومناهجهم المعروفة؛ تقرير العقيدة، وامتنثال وسطية هذا الدين العظيم.

وقد نهى المصطفى الكريم عن الغلو في الدين بقوله ﷺ: « أيها الناس إياكم والغلو فإنما أهلك من قبلكم الغلو في الدين »^(٢).

وقد سار صحابة رسول الله ﷺ على منهج الشرع القويم الذي بينه لهم الرسول الكريم، وتبعهم من جاء بعدهم من التابعين وسلف الأمة إلى يومنا هذا، متمثلين وسطية الدين، متبعين المنهج الصحيح في ذلك على ضوء منهج القرآن والسنة المطهرة، من حيث الأصول والمناهج.

والم تأمل في أحداث التاريخ الإسلامي، بعد انتقال صفوة الخلق محمد ﷺ إلى الرفيق الأعلى، وانقضاء عهد الخلفاء الراشدين؛ يجد الخلافات والاضطرابات، فما تلبث أن تتطفئ فتنة، إلا وتطل أخرى برأسها، وما أن تندثر طائفة أو فرقة، إلا وتبرز أخرى متدثرة بالإسلام، كلها تكيد للإسلام وأهله المكائد والمصائب.

فُعرفت الجهمية والجبرية والمرجئة، وعُرف أهل الكلام من المعتزلة والماترودية والأشاعرة، كما عُرفت الباطنية من الإسماعيلية والدروز والنصيرية، وكل هذه الفرق من غلاة الشيعة، كما عُرفت الصوفية، وكل هذه الفرق والطوائف، تصدى لها علماء السلف ومعهم الخلف، وأنكروا عليهم بدعهم، وسلوكياتهم، ومناهجهم، حتى صاروا بذلك أعلاماً، بارزين، تحفظ المراجع وأمهات الكتب، جهودهم، وتتناقلها الأجيال بعدهم.

ولعل أبرز تلك الفرق والطوائف، التي نالت نقداً وردوداً ظاهرة هي فرقة (الصوفية)، التي تذررت بالزهد والعبادة والنسك في بدء ظهورها في القرن الثاني الهجري تقريباً، ولم تلبث أن تطورت مراحل نشأتها حتى آل الأمر بغلاتها إلى الاعتقاد بالحلول والاتحاد ووحدة الوجود، المفضية إلى الكفر والإلحاد، نتيجة تأثرها بالديانات الوثنية، والمذاهب الفلسفية.

هذه الفرقة، تُعدّ من الفرق التي ابتدعت سلوكيات ومعتقدات مصادمة لشعائر الدين المعروفة من الدين بالضرورة، حتى أصبحت من أشهر الفرق والطوائف

(١) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، استانبول، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا على صلح جور، فالصلح مردود، ٢٦٧/٢، حديث رقم (٢٦٩٧).

(٢) مسند الإمام أحمد: بيروت، دار صادر (٢١٥/١).

في البدعة، التي سارت عبر القرون، ومازالت حتى هذا العصر، تتنامى بشكل بين، ولن يتأتى كشف حقيقتهم، إلا من خلال رصد ردود وإنكار ونقد علماء الأمة عليهم، بشكل عام، وإنكار وردود أئمتهم ومشايخهم، عليهم، في كل عصر ومصر، وفي هذا البحث، سأكتفي ببعض من هؤلاء الأئمة والمشايخ الصوفية، الذين نطن أنهم معتدلون، ممن تميز بغزارة علمه، وقوة حجته، وحضوره بين الأتباع. وقد رأيت أن يكون عنوان هذا البحث: «**الصوفية المعتدلون**».

وكان منهجي في إعداده قائم على الآتي:

- ١- الاستقراء؛ وذلك بتتبع بدع الصوفية، حول دعاوى (السماع وإسقاط التكاليف) وتتبع موقف الصوفية المعتدلين منها ومن غيرها من الدعاوى التي لا تقرها أحكام الشريعة السمحة.
- ٢- أذكر تاريخ وفاة العالم لأول مرة يرد اسمه، وذلك في ثنايا البحث.
- ٣- أترجم للأعلام، أحياناً.
- ٤- أذكر اسم السورة ورقم الآية، بعد الآية مباشرة.
- ٥- أدون معلومات المرجع لأول مرة.
- ٦- اكتفيت بفهرس للموضوعات، وفهرس آخر للمصادر والمراجع.

أرجو الله أن أوفق في إنصاف المعتدلين من الصوفية، الذين رفضوا بدع وضلالات أقوامهم، لعل العوام والجهلة منهم، يعرفوا قيمتهم، ويسمعوا لأقوالهم، ويسيروا على منهجهم المعتدل، ويتجنبوا

المنتسبة للإسلام ابتداءً؛ بل هي رأس المبتدعة. ولما كانت الحكمة ضالة المؤمن أنا وجدها فهو أحق بها، فالذي لفت نظري وجود طائفة من أئمة ومشايخ الصوفية، لا يقرون ما يمارسه المتصوفة منهم، من مبتدعات في الدين وغلوه، لا تقره العقيدة وأحكام الشريعة المنصوص عليها في الكتاب والسنة، وقد أنكروا على صوفيتهم، سلوكياتهم ومبتدعاتهم والمسائل التي غالوا فيها، في كثير من قضايا السلوك والعبادات التشريعية، مثل ما يعرف عندهم بالسماع وما يتولد عنه من وجد ورقص وغناء وشق ثياب ورقص... إلخ، وما عرف عندهم من إسقاط للتكاليف الشرعية، بدعوى وصولهم لدرجة اليقين، بمفهومهم الخاطئ له.

ومن باب العدل والإنصاف، رأيت في هذا البحث، أن أسلط الضوء على بعض المتصوفة المعتدلين، الذين رفضوا دعاوى غلاتهم من خلال نقل كلامهم من كتبهم، وأقواله مشايخهم وأئمتهم، التي أنكرت على قومهم ممارساتهم وسلوكياتهم، في قضيتين رئيسيتين عرفتتا عن الصوفية على مر القرون وحتى اليوم، دعوى (السماع) ودعوى (إسقاط التكاليف الشرعية) هما -بحسب ما وقفت عليه- من أشهر الدعاوى البدعية، التي اشتهر بها المتصوفة، بدعوى التقرب إلى الله من خلال طقوسهم، التي يمارسونها فيها.

ومن هنا أردت قصر الحديث عنهما في هذا البحث. والغاية من هذا البحث؛ كشف عوار وخفايا الصوفية

البدع في مسائل العقيدة، وأحكام الشريعة، وكل الضلالات.

والله الهادي إلى سواء السبيل.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين
المؤلف

د/ محمد بن أحمد الجوير

عضو هيئة التدريس-كلية الحقوق-جامعة دار العلوم-الرياض

تعريف التصوف توطئة:

لعل من نافلة الحديث، عندما أريد أن أتناول شأنًا، يتعلق في الصوفية؛ أن أعرج -ولو باختصار- على تعريف الصوفية، في اللغة، والأقوال حول نسبته، وتعريفه في الاصطلاح عند الصوفية، وعند غيرهم من علماء الأمة.

تعريف التصوف في اللغة:

قال ابن فارس "الصاد والواو والفاء أصل واحد صحيح، وهو الصوف المعروف. والباب كله يرجع إليه. يقال: كبش أصوف وصوفٌ وصائفٌ وصافٌ، كل هذا أن يكون كثير الصوف. ويقولون: أخذ بصوفة قفاه، إذا أخذ بالشعر السائل في نفرته... وأما قوله: صاف عن الشر، إذا عدل، فهو من باب الإبدال يقال: صاف إذا مال"^(١).

وتعددت الأقوال حول نسبة الصوفية، واختلف الباحثون حولها. كما اختلف الصوفية أنفسهم في ذلك، فمن هذه الأقوال:

النسبة إلى الصفة^(٢):

وممن نقل هذا السهروردي^(٣)، والهجویری^(٤)، والكلاباذي^(٥).

النسبة إلى الصفاء^(٦):

قال الكلاباذي: قالت طائفة إنما سميت الصوفية صوفية لصفاء أسرارها ونقاء آثارها^(٧).

(٢) أهل الصفة: كانوا فقراء يقدمون على رسول الله ﷺ، وليس لهم أهل ومال، فبنيت لهم صفة في شمالي مسجد رسول الله ﷺ، ينزل بها الغريب الذين ليس لهم أهل وأصحاب ينزلون عندهم، وهم معروفون بالعبادة.

انظر: تلبیس ابلیس عبدالرحمن بن الجوزي. تحقيق د. السيد الجميلي. ط٦ (بيروت: دار الكتاب العربي - ١٤١٣ هـ) ص ٢٠١، والفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لابن تيمية (مطبعة معارف لاهور - ١٣٩٧ هـ) ص ١٢.

(٣) هو عمر بن محمد بن عبدالله بن محمد شهاب الدين أبو حفص السهروردي، شيخ الصوفية ببغداد، صاحب كتاب "عوارف المعارف" توفي سنة ٦٣٠ هـ (انظر: البداية والنهاية (بيروت: دار الفكر) بدون طبعة وسنة نشره) ١٣٨/١٣.

(٤) انظر عوارف المعارف. عمر بن محمد السهروردي (القاهرة: مكتبة القاهرة - ١٣٩٣ هـ) ص ٦٢، رقم الطبعة بدون.

(٥) هو أبو الحسن علي بن عثمان بن علي الغزنوي الحلي الهجویری، صاحب كتاب "كشف المحجوب"، توفي بين سنتي ٤٦٥ هـ و ٤٦٩ هـ في لاهور. (انظر: الموسوعة الصوفية. د. عبدالمنعم الحنفي ط١ (القاهرة: دار الرشاد - ١٤١٢ هـ) ص ٤٠١.

(٦) انظر: كشف المحجوب. علي بن عثمان الهجویری. دراسة وتعليق د. إسعاد عبدالهادي قنديل مراجعة د. أمين عبد المجيد بدوي (بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر - ١٩٨٠) ص ٢٢٧.

(٧) هو أبو بكر محمد بن إسحاق الحنفي الكلاباذي، من علماء الصوفية، من أشهر مؤلفاته "التعرف لمذهب أهل التصوف" توفي سنة ٣٨٠ هـ (انظر: الموسوعة الصوفية ص ٣٣٨).

(٨) انظر التعرف لمذهب أهل التصوف. أبي بكر محمد الكلاباذي ط٣ (المكتبة الأزهرية للتراث - ١٤١٢ هـ) ص ٢٢٧.

(٩) الصفاء: نقیض الكدر، وهو صفاء القلوب، وانشراح الصدور، ومصافاة المودة والإخاء.

(انظر: المعجم الصافي في اللغة العربية. صالح أبي الصالح وأمينه الشيخ سليمان الأحمد ط١ (١٤٠٩ هـ) ص ٣٣٩ حرف الصاد.

(١٠) التعرف لمذهب أهل التصوف ص ٢٦.

(١) معجم مقاييس اللغة: أبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق وضبط عبدالسلام هارون، ط٢ (مصر: مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٣٩٠ هـ) ٣/٣٢٢.

قال ابن منظور: "الصوفة كل من ولي شيئاً من عمل البيت الحرام وهم الصوفانة"^(٩).

وقال ابن فارس

صوفة: قوم في الجاهلية كانوا يخدمون الكعبة ويجيزون الحاج، وحكي أنهم أفنت القبايل تجمعوا مع بعضهم حتى أصبحوا متشابكين كالصوف^(١٠).

وبمثل ذلك قال ابن الجوزي^(١١): ".... أن أول من انفرد به بخدمة الله سبحانه وتعالى عند بيته الحرام رجل يقال له صوفه.

فانتسبوا إليه لمشابهتهم إياه في الانقطاع إلى الله سبحانه وتعالى فسموا بالصوفية"^(١٢).

وقد ردّ هذه التسمية شيخ الإسلام بن تيمية بقوله "...

وقال بشر بن الحارث: "الصوفي من صفا قلبه لله"^(١).

وقال أبو نعيم "اشتقاقه عند أهل الإشارات والمنبئين عنه بالعبادات من الصفاء والوفاء"^(٢).

وقد ردّ هذه التسمية شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بقوله: "من قال: نسبة إلى الصفاء قيل له: كان حقّه أن يقال صفائية ولو كان مقصوراً لقل صفوية"^(٣).

وقد ردّها أيضاً ابن خلدون لأن قياس اللغة يأباه^(٤).
النسبة إلى الصف^(٥):

قيل: "إنما سموا صوفية، لأنهم في الصف الأول بين يدي الله جل وعز بارتفاع همهم إليه، ووقوفهم بسرائرهم بين يديه"^(٦).

كما ردّ شيخ الإسلام ابن تيمية هذه النسبة بقوله: "... وهو أيضاً غلط، فإنه لو كان كذلك لقل: صفّي"^(٧).

النسبة إلى صوفه^(٨):

(١) التعرّف لمذهب أهل التصوّف ص ٢٦.

(٢) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء. أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني. (بيروت: دار الفكر ١٤١٦هـ) ١٧/١.

(٣) مجموع فتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية جمع وترتيب عبدالرحمن بن محمد بن قاسم ٥ طبعة خادم الحرمين الشريفين. إشراف الرئاسة العامة لشئون الحرمين الشريفين. ٣٦٩/١.

(٤) انظر: مقدّم ابن خلدون، عبدالرحمن بن خلدون، ط٦، بيروت، دار القلم، ١٤٠٦هـ، ص ٤٦٧.

(٥) يقصد الصوفية بهذه النسبة أنهم في الصف الأوّل المقدم بين يدي الله تعالى في عباداتهم، وسلوكهم، وأحوالهم.

(٦) التعرّف لمذهب أهل التصوف، أبي بكر، محمد الكلاباذي، ضبطه وعلّق عليه وخرج آياته وأحاديثه: أحمد شمس الدين، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ، ص ٢٦-٢٧.

(٧) الصوفية والفقراء، ابن تيمية، تقديم د. محمد جميل غازي، جدة، مكتبة المدني ومطبعتها ص ١١.

(٨) صوفه بن بشر: هو صوفه أبو يحيى من مضر، وهو الغوث بن مر بن أد بن طابخة بن إلياس من مضر، كانوا يخدمون الكعبة في الجاهلية ويجيزون الحاج أي يفيضون بهم، كانوا يجاورون مكة من الزمن القديم وهم قبيلة من العرب.

(انظر: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ١٧/١، ولسان العرب لابن

منظور ٢٠٠/٩ مادة "صوف").

(٩) لسان العرب ٢٠٠/٩.

(١٠) انظر: معجم المقاييس في اللغة، لأبي الحسن أحمد بن فارس، حققه شهاب الدين أبو عمرو، (بيروت، دار الفكر ١٤١٨هـ) ص ٥٨١، باب (الصاد).

(١١) ابن الجوزي: هو عبدالرحمن بن علي بن محمد، الجوزي القرشي البغدادي، أبو الفرج، الإمام الواعظ المفسر، ولد ببغداد سنة ٥٠٨هـ له مؤلفات كثيرة، منها: زاد المسير في علم التفسير، والمنظم في تاريخ الملوك والأمم، وتلخيص إبلّيس وغيرها كثير جداً، توفي ببغداد سنة ٥٩٧هـ.

انظر: الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب، تخريج أحاديث أبو حازم أسامة بن حسن، وأبو الزهراء علي بهجت ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية- ١٤٠٧هـ) ٣/٣٣٦، وشذرات الذهب لأبي الفلاح عبدالحق بن العماد الحنبلي ط٢ (بيروت: دار المسيرة، ١٣٩٩هـ) ٤/٣٢٩، وسير أعلام النبلاء ٣٧٤/٢١، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لأبي العباس أحمد بن خلكان، تحقيق: د. إحسان عباس (بيروت: دار صادر، ١٩٦٩م) ٣/١٤٠، والبداية والنهاية ٢٨/١٣، ومراة الجنان تأليف عبد الله الياقعي ط٢ (القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، ١٤١٣هـ) ٣/٤٨٩، والأعلام خير الدين الزركلي ط٥ (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٩٢م) ٣/٣١٦. وعن غزارة علمه - رحمه الله - انظر: قراءة في مؤلفات ابن الجوزي، د: ناجية عبدالله إبراهيم (بغداد: منشورات وتوزيع المكتبة العالمية- ١٩٨٧م)، ومؤلفات ابن الجوزي، عبد الحميد العلوجي ط١ (الكويت، مركز المخطوطات- ١٤١٢هـ).

(١٢) تلبّيس إبليس، ص ١٩٩.

فإنه ضعيف أيضا، لأن هؤلاء غير مشهورين ولا معروفين عند أكثر النساك، ولأنه لو نسب النساك إلى هؤلاء لكان هذا النسب في زمن الصحابة والتابعين وتابعيهم أولى، ولأن غالب من تكلم باسم الصوف لا يعرف هذه القبيلة ولا يرضى أن يكون مضافا إلى قبيلة في الجاهلية، ولا وجود لها في الإسلام^(١).

ومنهم من قال بأن النسبة إلى الصوف:

قال بذلك السهروردي، بقوله: "كان اختيارهم للبس الصوف لتركهم زينة الدنيا"^(٢).
وممن قال بذلك شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله: "والنسبة في "الصوفية" إلى الصوف لأنه غالب لباس الزهاد"^(٣).

واختار هذا القول ابن خلدون بقوله: قلت: والأظهر إن قيل بالاشتقاق أنه من الصوف، وهم في الغالب مختصون بلبسه لما كانوا عليه من مخالفة الناس في لبس فاخر الثياب إلى لبس "الصوف"^(٤).

ومن الأقوال من قال بأن النسبة إلى سوفيا اليونانية^(٥):

قال بذلك البيروني^(٦) بقوله: "أنهم منسوبون إلى "السوفية" الحكماء القائلون بالوحدة، وأن الصوفية

أول من أدخل ذلك في الإسلام فسموا باسمهم"^(٧).
ومن خلال ما سبق فالراجح -والله أعلم- هو النسبة إلى الصوف؛ لأسباب منها:
- لأن في ذلك علامة على الزهد، لما فيه من الخشونة المعروفة.
- موافقته للغة.
- ولأن هذا القول، قد رجحه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله

تعريف التصوف اصطلاحاً:

تعددت الأقوال حول التعريف الاصطلاحي للتصوف عند الصوفية وغيرهم فتعريفه عند الصوفية:
يقول معروف الكرخي^(٨): "التصوف الأخذ بالحقائق واليأس مما في أيدي الخلائق"^(٩).
ويقول الجنيد^(١٠) وقد سئل عن التصوف: "أن تكون مع الله بلا علاقة"^(١١).
ويقول أيضا هو: "أن يمتك الحق عنك ويحييك به"^(١٢).

(٧) تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مردولة. أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني (الهند: مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية - ١٣٧٧هـ) ص ٢٤، ٢٥.

(٨) أبو محفوظ معروف بن فيروز الكرخي، ويقال معروف الفيرزان يلقب بالزاهد، معروف بالورع، توفي سنة ٢٠٠هـ، وقبره ظاهر في بغداد. (انظر ترجمته في صفة الصفوة لأبي الفرج بن الجوزي، تحقيق محمود فاخوري. تخريج أحاديثه د. محمد رواس قلعجي. ط ٢ (بيروت: دار المعرفة - ١٣٩٩هـ) ص ٣١٨/٣، وطبقات الصوفية. أبي عبد الرحمن السلمي. ترتيب أحمد الشرباصي (مطابع الشعب - ١٣٨٠هـ) ص ٢١.

(٩) عوارف المعارف ص ٥٤.

(١٠) الجنيد بن محمد بن الجنيد النهاوندي ثم البغدادي، توفي سنة ٢٦٧هـ (انظر ترجمته: سير أعلام النبلاء ١٤/٦٦).

(١١) عوارف المعارف ص ٥٤.

(١٢) ن.م ص ٥٧.

(١) الصوفية والفقراء ص ١٢.

(٢) عوارف المعارف ص ٦٠.

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١٠/٣٦٩.

(٤) مقدمة ابن خلدون ص ٤٦٧.

(٥) سوفيا: معناها باليونانية: الحكمة.

(٦) هو محمد بن أحمد أبو الريحان البيروني الخوارزمي، ولد سنة ٣٦٢هـ فيلسوف رياضي، مؤرخ من أهل خوارزم، توفي سنة ٤٤٠هـ (انظر ترجمته في الأعلام ٦/٢٠٥).

استقرت اتجاهها نفسيا وعقليا بعيدا عن مجراها الأول، وعن الإسلام في كثير من أوجهها المتطرفة^(٥).

لكن ابن تيمية له رأي حول ذلك، يقول فيه "أن الناس تتازعوا في طريقتهم -أي الصوفية- فطائفة ذمت التصوف والصوفية وقالوا: إنهم مبتدعون خارجون عن السنة، وطائفة غلت فيهم وادّعوا أنهم أفضل الخلق وأكملهم بعد الأنبياء، ويرى ابن تيمية رحمه الله أنهم مجتهدون في طاعة الله، كما اجتهد غيرهم من أهل طاعة الله ففيهم السابق المقرب بحسب اجتهاده، وفيهم المقتصد الذي هو أهل اليمين وفي كل من الصنفين من قد يجتهد فيخطئ، ومنهم من يذنب فيتوب أو لا يتوب، ويرى ابن تيمية أن من المنتسبين إليهم من هو ظالم لنفسه، عاصي لربه، وقد انتسب إليهم طوائف من أهل البدع والزندقة^(٦).

ويتضح من هذا النص أن ابن تيمية رحمه الله لم يتجنّ على الصوفية، وإنما حكم بأنهم مجتهدون في طاعة الله والمجتهد عرضة للخطأ، وذلك لابتداعهم وخروجهم عن اتباع السنة، كما أنه رحمه الله أوضح صراحة أنه قد انتسب إلى هؤلاء طوائف من أهل البدع والخرافات والزندقة، وفي هذا البحث سنقصر الحديث عن المعتدلين منهم، من أئمتهم ومشايخهم، الذين أنكروا على المغالين منهم والمتجاوزون لحدود ثوابت العقيدة وأحكام الشريعة ولو أَرنا الوقوف على

والملاحظ أن تعريف التصوف عند الصوفية يختلف من عصر إلى آخر، نتيجة لعدم استطاعة القوم، تعريفه تعريفاً جامعاً مانعاً، حتى أخذ ينحو منحى خطيراً كلما تقدّم به الزمن.

يقول في ذلك، الواسطي^(١): "كان للقوم إشارات ثم صارت حركات ثم لم يبق إلا حسرات"^(٢).

أما تعريف التصوّف عند غير الصوفية:

فابن الجوزي يذهب إلى أن التصوف هو "طريقة كان ابتدأها الزهد الكلي ثم ترخص المنتسبون إليها بالسماع والرقص فمال إليهم طلاب الآخرة من العوام لما يظهرونه من الزهد. ومال إليهم طلاب الدنيا لما يرون عندهم من الراحة واللعب"^(٣).

وابن خلدون: يقول: "وأصلها - أي طريقة التصوّف - العكوف على العبادة، والانقطاع إلى الله، والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه، والانفراد عن الخلق للعبادة. وكان ذلك عاما في الصحابة والسلف، فلما فشا الإقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا اختص المقبولون على العبادة باسم الصوفية والمتصوّفة"^(٤).

ويقول عمر فروخ "الصوفية حركة بدأت زهدا وورعا، ثم تطورت فأصبحت نظاما شديدا في العبادة، ثم

(١) أبو بكر محمد بن موسى الواسطي، أصله من فرغانة، من أصحاب الجنيد والنوري، من علماء مشايخ الصوفية، توفي بمرور بعد العشرين وثلاثمائة من الهجرة. انظر طبقات الصوفية ص ٧٢.

(٢) الطبقات الكبرى ١/١٠٠.

(٣) تلبيس إبليس ص ١٩.

(٤) مقدّمة ابن خلدون ص ٤٦٧.

(٥) تاريخ الفكر العربي د. عمر فروخ (بيروت: دار العلم للملايين - ١٣٩٢هـ) ص ٤٧٠.

(٦) انظر: الفتاوي ١٧/١، ١٨.

تاريخ التصوف ونشأته.

فلعل الصورة تكون أكثر وضوحاً، فيما أفرد ابن الجوزي رحمه الله عن تاريخ التصوف من حيث بدأ حتى اكتمل، وبلغ ذروة الانحراف، مما كان يمثلته من رسوم وإشارات وبدع وضلالات وخرافات.

يقول ابن الجوزي: "والتصوف طريقة كان ابتدأها الزهد الكلي، ثم ترخص المنتسبون إليها بالسماع والرقص، فمال إليهم طلاب الآخرة من العوام لما يظهرونه من التزهد، ومال إليهم طلاب الدنيا لما يرون عندهم من الراحة واللعب".

ثم قال رحمه الله: وهذا الاسم ظهر للقوم قبل سنة مائتين، ولما أظهره أوائلهم تكلموا فيه وعبروا عن صفته بعبارة كبيرة وحاصلها أن التصوف عندهم رياضة النفس ومجاهدة الطبع برده عن الأخلاق الرذيلة، وحمله على الأخلاق الجميلة الحسنة التي تكسب المدايح في الدنيا والثواب في الآخرة.. وعلى هذا كان أوائل القوم، فلبس إبليس عليهم في أشياء ثم لبس على من بعدهم من تابعهم، فكلما مضى قرن زاد طمعه في القرن الثاني فزاد تلبيسه عليهم، إلى أن تمكّن من المتأخرين غاية التمكّن.

وكان أصل تلبيسه عليهم أنه صدّهم عن العلم وأراهم أن المقصود العمل، فلما أطفأ مصباح العلم عندهم تخبطوا في الظلمات.. ثم جاء أقوام فتكلموا لهم في الجوع والفقر والوساوس والخطرات وصنّفوا في ذلك مثل الحارث المحاسبي.. وجاء آخرون فهذبوا مذهب التصوف، وأفردوه بصفات ميّزه بها من الاختصاص

بالمرقعة والسماع والوجد والرقص والتصفيق، وتميّزوا بزيادة النظافة والطهارة... ومنهم من خرج به الجوع إلى الخيالات الفاسدة فادعى عشق الحق... ثم تشعبت بأقوام منهم الطرق، فمن هؤلاء من قال بالحلول ومنهم من قال بالاتحاد.... وجاء أبو عبد الرحمن السلمي وصنّف لهم كتاب "السنن" وجمع لهم حقائق التفسير، فذكر عنهم فيه العجب في تفسيرهم القرآن... وصنّف لهم أبو نصر السراج كتاباً سماه "لمع الصوفية" ذكر فيه من الاعتقاد القبيح والكلام المردول... وصنّف لهم أبو طالب المكي "قوت القلوب" فذكر فيه الأحاديث الباطلة وما لا يستند فيه إلى أصل... وجاء أبو نعيم الأصفهاني فصنّف لهم كتاب "الحلية" وذكر في حدود التصوف أشياء منكرة قبيحة... وصنّف لهم عبد الكريم بن هوزان القشيري كتاب "الرسالة" فذكر فيها العجائب عن الكلام في الغناء والبقاء... وجاء محمد طاهر المقدسي^(١) فصنّف لهم "صفوة التصوف" فذكر فيه أشياء يستحي العاقل من ذكرها... وجاء أبو حامد الغزالي فصنّف لهم كتاب "الإحياء" على طريقة القوم وملاؤه بالأحاديث الباطلة، وهو لا يعلم بطلانها، وتكلم في علم المكاشفة وخرج عن قانون الفقه...^(٢).

(١) محمد بن طاهر بن علي بن أحمد المقدسي الشيباني، أبو الفضل ابن القيسراني الظاهري، الصوفي، ولد ببیت المقدس سنة ٤٤٨ هـ وتوفي سنة ٥٠٧ هـ ببغداد من مصنفاته "صفوة التصوف".

(انظر ترجمته: في سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي، ط ٩، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٣ هـ، ٣٦١/١٩، والأعلام، خير الدين الزركلي ط ١، لبنان، دار العلم للملايين، ١٩٩٢ م، ١٧١/٦).

(٢) تلبيس إبليس ص ٢٠١-٢٠٥.

السماع في اصطلاح الصوفية:

عرّفه الصوفية بأنه "وارد حق يزعج القلوب إلى الحق فمن أصغى إليه بحق تحقق، ومن أصغى إليه بنفس تزدق"^(٤).

وحكى القشيري عن بعض الصوفية قوله في تعريف السماع: "بروق تلمع ثم تخدم، وأنوار تبدو ثم تخفى"^(٥).

وقال الشيخ عبد القادر الجيلاني أنه "الحديث والكلام الذي هو سنة الله ﷻ مع العلماء والخواص من الأولياء والأبدال والأعيان الذين وقفوا مع القول والأبيات والأشعار التي تثير انطباع وتهيج العشاق بالطباع لا بالقلوب والأرواح"^(٦).

الشبه في السماع عند الصوفية:

يُعدّ السماع من الظواهر التي تلفت النظر في التصوّف، ولا يخلو مصنف من مصنفات القوم من ذكره والتشفي به، فكثرت فيه أقوال شيوخ الصوفية وإباحته، وقد عدّه بعضهم سمة من سمات الصوفي.

فقد سئل أبو الحسن النوري عن الصوفي، فقال: "من سمع السماع، وآثر الأسباب"^(٧).

والمتمأل في أحوال بعض المشايخ الصوفية، يتضح له أن السماع دخل التصوّف في وقت مبكر، إذ

وتشير بعض المصادر، أن التصوف، نشأ في البيئة الإسلامية، نتيجة مؤثرات خارجية، جراء احتكاك المسلمين مع الثقافات الأجنبية الأخرى، إبان الفتوحات الإسلامية، وترجمة كتب اليونان الفلسفية، وجلبها للديار الإسلامية، ومن أهم هذه المؤثرات: اليهودية، والنصرانية، والهندية واليونانية والفارسية^(١).

الصوفية المعتدلون

لعلنا هنا نعرض بعضاً من البدع والسلوكيات الخاطئة عند المتصوفة، حول دعاوى السماع، وإسقاط التكاليف، ثم نعقبها، بموقف المعتدلين من الصوفية.

أولاً: السماع.

تعريف السماع لغة واصطلاحاً:

السماع لغة:

قال ابن منظور: هو الغناء، وقيل الذكر المسموع الحسن الجميل، وكل ما التذت به الأذن من صوت حسن سماع^(٢).

وقال الجوهري: السماع مصدر قوله سمعت الشيء سمعا وسماعاً^(٣).

(١) انظر: مجلة الهلال، يونيه ١٩٨٥م، ١٢ رمضان ١٤٠٥هـ، ص ١٠٦، وظهر الإسلام، أحمد أمين، ط ٣، بيروت، الكتاب العربي، ٥٨/٢، والمصادر العامة للتلقي عند الصوفية، صادق سليم صادق، ط ١، الرياض: مكتبة الرشد، ١٤١٥هـ، ص ٦٣-٩٣.

(٢) انظر: لسان العرب، ط ٢، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤١٨هـ، ٣٦٥/٦.

(٣) انظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل الجوهري تحقيق أحمد عبد الغفار عطار، بيروت، دار العلم للملايين، ١٣٨٦هـ، ص ٣١٤.

(٤) اللع ص ٣٤٢، الرسالة القشيرية ص ٥٠٣، الإحياء ٢/٢٩٢.

(٥) الرسالة القشيرية في علم التصوف، عبد الكريم القشيري، تحقيق ودراسة هاني الحاج، المكتبة التوفيقية، ص ٥٢٥.

(٦) الغنية لطالبي طريق الحق، عبد القادر الجيلاني، المكتبة الشعبية، ١٨٠/٢.

(٧) اللع في التصوف، لأبي نصر عبد الله الطوسي، تحقيق عبد الحليم محمود، مصر، دار الكتب الحديثة، ١٣٨٠هـ، ص ٣٤٣.

هيئت حلقات الذكر بيئة مناسبة لنشوء هذا السماع، ولئن كان الذكر الصوفي في بداية الأمر يمارس بشكل فردي، فإنه لم يلبث أن أصبح يمارس بشكل جماعي تردد فيه الأناشيد الدينية ترديدا موزونا أشبه ما يكون بترنمات النصارى داخل الكنيسة، ومع مرور الزمن استبدلت هذه الأبيات بالأشعار الغزلية التي أخذ القوالون ينشدونها في حلقات السماع ويحضرها المشايخ حتى تشكّل السماع بمفهومه المقيّد الذي كان من إفرازاته الصياح والبكاء والصعق والزرق والتصفيق والرقص وتمزيق الثياب. ولئن أطلق السماع عند الصوفية، فإن المقصود به السماع المقيّد بالنغم لا مطلق السماع. يقول ابن عربي:

"السماع المقيّد بالنغمات المستحسنات التي يتحرك لها الطبع بحسب قبوله: وهو الذي يريدونه غالبا بالسماع المطلق"^(١).

والسماع عند الصوفية قسمان:

أحدهما: سماع القرآن.

الثاني: سماع الأشعار والقصائد "الغناء".

يقول القشيري: "السماع فيه نصيب لكل عضو، فما يقع في العين يبكي، وما يقع إلى اللسان يصيح، وما يقع إلى اليد تمرّق الثياب، وتلطم، وما يقع إلى الرجل ترقص"^(٢).

ونقل السهروردي عن بعض المشايخ الصوفية قوله:

رأينا جماعة ممّن يمشي على الماء والهواء يستمعون السماع ويجدون به ويتولّهون عنده. وقال بعضهم: كنا على الساحل فسمع بعض إخواننا فجعل يتقلب على الماء يمر ويجيء حتى رجع إلى مكانه، ونقل أن بعض الصوفية ظهر منه وجد عند السماع، فأخذ شمعه فجعلها في عينه، قال الناقل: قربت من عينه أنظر فرأيت نارا أو نورا يخرج من عينه يرد نار الشمعة، وحكى عن بعضهم أنه كان إذا وجد عند السماع ارتفع من الأرض في الهواء أذرا يمر ويجيء منه"^(٣).

ومن متولّدات السماع وآثاره على الصوفية، أن يلجأ أحدهم عند السماع إلى تقطيع وتمزيق ثيابه، ويرون في ذلك جوازا ويحتجون بذلك بقوله تعالى: ﴿فَطَفِقْ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾ [ص: ٣٣].

ومن تلك المتولّدات تواجدهم، محتجين بقصة روهها عن سلمان الفارسي عليه السلام أنه عندما سمع قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر: ٤٣] صاح صيحة، ووضع يده على رأسه ثم خرج هاربا ثلاثة أيّام^(٤).

واحتج الصوفية على جواز التواجد والحركة أثناء السماع مما روى عن أنس عليه السلام قال: "كنا عند رسول الله ﷺ إذ نزل جبريل، فقال يا رسول الله: «إن فقراء أمتك يدخلون الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم: وهو

(٣) عوارف المعارف ص ١٧٠-١٧١.

(٤) انظر: اللع ص ١٨٥.

(١) الفتوحات المكية لابن عربي ٣٦٧/٢.

(٢) الرسالة القشيرية ص ٥٢٥.

هات «، فأنشُد الأعرابي:

العبادات التي يتقربون بها عند الله.

فهذا الجنيد يقول: "تنزل الرحمة على الفقراء - الصوفية- في ثلاث مواطن، وعدّ منها السماع لأن القوم -بزعمه- لا يسمعون إلا عن حق"^(٣).

وهذا محدث الصوفية محمد بن طاهر المقدسي يقول: "... فهذا رسول الله ﷺ وأصحابه والأولياء، قد اجتمعوا للسماع، وتواجدوا ورقصوا في اليقظة والنوم، فكيف ينكره أحد اليوم، وما كان كذلك فهو دين معروف"^(٤).

ومن هنا جعل الصوفية السماع من العلوم الخاصة التي استأثر الله بها. يقول التستري: "السماع علم استأثر الله تعالى به لا يعلمها إلا هو"^(٥).

كما حاول الصوفية تسخير بعض الآيات القرآنية وتطويرها للاحتجاج بها على جواز وإباحة الرقص والسماع.

ومنها على سبيل المثال:

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [آل عمران: ١٩١]^(٦).

خمسائة عام، ففرح رسول الله ﷺ، فقال: هل منكم من ينشدنا؟ فقال بدوي: نعم يا رسول الله، فقال:

قد لسعت حية الهوى كبدي فلا طبيب لها ولا رافي
إلا الحبيب الذي شغفت به فعنده رقيتي وترياقتي

فتواجد رسول الله ﷺ وتواجد الأصحاب معه حتى سقط رداؤه عن منكبه، فلما فرغوا، أوى كل واحد منهم إلى مكانه. قال معاوية بن أبي سفيان: ما أحسن لعبكم يا رسول الله، فقال: مه يا معاوية، ليس بكريم من لم يهتز عند سماع الحبيب، ثم قسم رداء رسول الله ﷺ على من حضر بأربعمائة قطعة^(١).

وحكي عن ذي النون المصري، أنه لما دخل بغداد، فدخل عليه جماعة معهم قول، فاستأذنوا أن يقول شيئاً، فأذن لهم، فأنشُد يقول:

صغير هواك عذبني فكيف به إذا احتنكا
أما تنظر لمكتتب إذا ضحك الحلي بكى
وإن جمعت من قلبي هوى قد كان مشتركاً

فطاب قلبه، وقام وتواجد وسقط على جبهته والدم يقطر من جبينه ولا يقع على الأرض، ثم قام واحد منهم فنظر إليه ذو النون فقال: «الَّذِي يَرِيكَ حِينَ تَقُومُ»^(٢) [الشعراء: ٢١٨]، فجلس الرجل^(٣).

والسماع عند الصوفية بلغ درجة قدسية رفيعة، فقد عدّوا مجالس السماع من مجالس نزول الرحمة، واعتقدوا أن السماع من الدين، وهو عبادة من

(٣) الرسالة القشيرية ص ٥٠٩، واللمع ص ٣٤٣، وإحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي، بيروت، دار المعرفة، ٢٧٠/٢.

(٤) صفة التصوف لابن طاهر المقدسي نقلا عن كشف القناع عن حكم الوجد والسماع لأبي العباس أحمد بن عمر القرطبي، تقديم وتحقيق وتخريج د. عبد الله الطريقي، ط ١ (١٤١١ هـ) ص ١٥٩، ولم أجد كلام ابن طاهر في صفة التصوف.

(٥) الرسالة القشيرية ص ٥١٩.

(٦) انظر: الرهص والرقص لمستحل الرقص، إبراهيم محمد الحلبي، دراسة وتحقيق وضبط وتعليق د. صالح السدلان

(١) عوارف المعارف ص ١٨٩، وانظر رد هذا الاحتجاج ص ٢٤١.

(٢) انظر: آداب المريدين للسهروردي ص ١٠٦-١٠٧، والرسالة القشيرية ص ٥١٩، واللمع ص ٢٤٦، ٣٦٢، وإحياء ٢٩٤/٢، وعوارف المعارف ص ١٦٥.

واحتجوا على جواز الطرب والرقص، بقوله تعالى:

﴿أَرْكُضْ بِرَجْلِكَ﴾ [ص: ٤٢].

واحتجوا على تقطيع الثياب وتحريقها وتمزيقها بقوله تعالى: ﴿فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾ [ص: ٣٣]^(١).

وأجاز لهم ذلك الهجويري، وعدّه أمراً اعتادت عليه هذه الطائفة، وذلك من أجل راحة قلب المؤمن وجلب الرضا له^(٢).

وكذلك احتج بعض الصوفية على جواز هذا السماع ومتولداته ببعض الأحاديث النبوية التي زعموا أنها تعضد معتقدهم في هذا الجانب ومنها على سبيل المثال:

ما روى عن عائشة رضي الله عنها، قالت: (دخل علي أبو بكر الصديق وعندي جاريتان من جواري الأنصار تغنيان بما تقولت به الأنصار يوم بعثت، قالت: وليستا بمغنياتين، فقال أبو بكر: أمزمار الشيطان في بيت رسول الله ﷺ، وذلك يوم عيد، فقال رسول الله ﷺ: «إِنْ لَكُمْ قَوْمٌ عِيدٌ وَهَذَا عِيدُنَا»^(٣). واحتج القشيري لهم على إباحة الغناء بالقياس وذلك بقوله: "إن الطفل يسكن إلى الصوت الطيب، والجمل

يقاسي تعب السير، ومشقة الحمولة، فيهن عليه بالحداء"^(٤).

وروي أن بعض ملوك العجم مات وخلف ابنا صغيرا، فأرادوا أن يبايعوه، فقالوا: كيف نصل إلى عقله وذكائه؟ فتوافقوا على أن يأتوا بقول، فإن أحسن الإصغاء علموا كياسته. فلما اسمعوه القول ضحك الرضيع، فقبلوا الأرض بين يديه وبايعوه!^(٥).

ومن بالغ اهتمامهم بالسماع، أن قصروه على الصوفية وحدهم، حيث رأوا فيه غذاء لأرواحهم!، فقد روي أن أبا علي الدقاق قال: "السماع حرام على العوام لبقاء نفوسهم، مباح للزهاد لحصول مجاهداتهم، مستحب لأصحابنا لحياة قلوبهم"^(٦).

ومن هنا، فلا عجب إن كانت منزلة السماع عند الصوفية تفوق منزلة القرآن، وأكبر تأثيرا على قلوبهم منه، ويبدو ذلك جليا في هذه الرواية.

فقد روي أن يوسف بن الحسين الرازي، كان يقرأ القرآن، فقصده أبو الحسين الدراج من بغداد لزيارته فوجده يقرأ في المصحف، فلما أنشده أبو الحسن:

رأيتك تبني دائما في	ولو كنت ذا حزم لهدمت
قطيعتي	ما تبني
كأني بكم والليت أفضل	ألا ليتنا كنا إذا الليت لا
قولكم	يغني

فأطبق يوسف بن الحسين المصحف، ولم يزل يبكي، حتى ابتلت لحيته وابتل ثوبه، حتى رحمه أبو

ط١ (الرياض: دار طبية - ١٤١٠هـ) ص ٩٥.

(١) انظر: الحلية ٣٧٤/١٠.

(٢) انظر: كشف المحجوب ص ٥٠٣.

(٣) الإحياء ٢٧٨/٢، وانظر: كتاب السماع، محمد بن طاهر المقدسي، تحقيق أبو الوفاء المراغي (القاهرة: لجنة إحياء التراث الإسلامي - ١٤١٥هـ) ص ٣٧، والرسالة القشيرية ص ٤٦٦، والإحياء ٢٧٨/٢، والحديث في صحيح البخاري كتاب العيدين، باب الحراب والدرق يوم العيد ٢/٢ بمعناه، وانظر رد هذا الاحتجاج بهذا الحديث ص ٥٢٧.

(٤) الرسالة القشيرية ص ٤٨٢-٤٨٤. والحداء: من الحدود: سوق الإبل والغناء لها، انظر: مختار الصحاح للرازي، ترتيب محمود خاطر، وتحقيق وضبط حمزة فتح الله، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٤هـ، ص ١٢٧.

(٥) انظر: كشف المحجوب ص ٤٨٦.

(٦) الرسالة القشيرية ص ٥٠٢.

الحسين لكثرة بكائه.

ثم قال يوسف بن الحسين: يا بني تلوم أهل الري^(١) يقولون يوسف زنديق هذا أنا من صلاة الغداة أقرأ المصحف، ولم تقطر من عيني قطرة، وقد قامت القيامة عليّ بهذين البيتين^(٢).

ولقد وصفه الشعرا بقلوبه: "وكان.. إذا سمع القرآن لا تقطر له دمة، وإذا سمع شعرا قامت قيامته"^(٣). ويقيس السهروردي السماع على الغيث، فيقول: مثل السماع مثل الغيث، إذا وقع على الأرض تصبح مخضرة، كذلك القلوب الزكية، يظهر مكنون فوائدها عند السماع^(٤).

والصوفية عند ممارستهم لهذه المتولدات المثمرة عن السماع الذي يزعمون أنه قرينة إلى الله، تحضرهم بذلك وتشاركهم الشياطين، وتأزهم على ذلك أزا، وهم يقولون بذلك، يقول الهجويري: "قال سمعت أبا العباس الشقاني يقول: كنت يوما جالسا في مجلس سماع، فرأيت كثيرا من الشياطين عراة الأجسام، يرقصون بين الجماعة ينفثون عليهم لكي يزيديا من حماسهم"^(٥).

هذا هو مفهوم السماع عند الصوفية، بما يتخلله من رقص ونط ولطم وتمزيق ثياب وصياح حتى آل بهم

الأمر أن فضلوهم على كلام الله؛ القرآن الكريم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم.

موقف الصوفية المعتدلين:

رد كبار أئمة ومشايخ الصوفية ما يعرف عندهم بالسماع، وما تولد منه من رقص، وصعق، وصياح، ونط، وتمزيق ثياب... إلخ، وأنكروا هذه السلوكيات على أهلها.

فهذا أبو علي الروذباري (ت ٣٢٢هـ) من كبار الصوفية، يقول في السماع: « ليتنا تخلصنا منه رأساً برأس »^(٦).

ويستنكر على من يستمتع للملاهي من هؤلاء السذج، ويزعم أنه سقطت عنه التكاليف الشرعية، فسماعه لها حلال، لأنه قد وصل إلى درجة لا يؤثر فيه اختلاف الأحوال، فقال عنه الروذباري: نعم قد وصل، ولكن إلى سقر^(٧).

والجنيد (ت ٢٦٧هـ) المسمى عندهم « سيد الطائفة » يستنكر هذه الرعونات التي تصدر من بعضهم، ذلك أن رجلاً كان يصحبه في سفره، وكان الرجل إذا سمع شيئاً من الذكر يزعم، فقال الجنيد: إن فعلت ذلك مرة أخرى لم تصحبني^(٨).

وقال أبو حفص الحداد (ت ٢٦٠هـ): « إذا رأيت المريد يحب السماع فاعلم أن فيه بقية من البطالة »^(٩).

(١) الري: مدينة مشهورة تقع بين جرجان وطبرستان شمال إيران. انظر: معجم البلدان ١١٦/٣.

(٢) انظر: الملح ص ٣٦٤، الإحياء ٣٠١/٢، الرسالة القشيرية ص ٥٢٢.

(٣) الطبقات الكبرى ٩١/١.

(٤) آداب المريدين، للسهروردي، تحقيق فهد شلتوت، القاهرة، دار الوطن العربي، ص ١٠٣.

(٥) كشف المحجوب ص ٤٩٧.

(٦) كشف المحجوب للهجويري ص (٤٨٩).

(٧) انظر: حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني، بيروت، لبنان، ١٤١٦هـ.

(٨) (٣٥٦/١)، طبقات الصوفية ص (٨٧)، الطبقات الكبرى (١٠٦/١).

(٩) انظر: الرسالة القشيرية ص (١٠٦).

(٩) الرسالة القشيرية ص (٥١٩).

الزمان وسماعهم واجتماعهم وهيئتهم إلا هنا، وما أحسنه من حجة للصوفية وأهل الزمان في سماعهم وتمزيقهم الخرق وفسخها أن لو صح -والله أعلم- ويخالج سري أنه غير صحيح، ولم أجد فيه ذوق اجتماع النبي ﷺ مع أصحابه، وما كانوا يعتمدونه على ما بلغنا في هذا الحديث، ويأبى القلب قبوله، والله أعلم بذلك»^(٣).

ونقل عن الجريري الصوفي (ت ٣١١هـ) قوله: « رأيت الجنيد في المنام فقلت: « كيف حالك يا أبا القاسم؟ » فقال: « طاحت تلك الإشارات وبادت تلك العبارات وما نفعا إلا تسيحات كنا نقولها بالغدوات »^(٤).

وهذا أبوالحارث الفيض الأولاسي (ت ٢٩٧هـ) يربط الرقص بإبليس وبفرجه مما حققه مع الصوفية المتعاطين له، يقول: « رأيت إبليس في المنام على بعض سطوح أولاس^(٥) على يمينه جماعة وعلى يساره جماعة وعليه ثياب نظاف، فقال لطائفة منهم: قولوا! فقالوا وغنوا فاستغزني طيبه حتى هممت أن أطرخ نفسي من السطح ثم قال: ارقصوا فرقصوا بأطيب ما يكون، ثم قال لي: يا أبا الحارث ما أصيب شيئاً أدخل به عليكم إلا هذا »^(٦).

وعد الطوسي -صاحب « اللمع » وهو أحد أئمتهم

وعبدالقادر الجيلاني (ت ٥٦١هـ) رحمه الله من كبار مشايخ الصوفية، رأى كراهية السماع وخالف رأيه ما عليه صوفية زمانه في السماع، فهو يقول: « وإن كنا لا نرى بالسماع والقول والقصب والرقص، وقد قدمنا كراهيته؛ إلا أننا قد ذكرنا ذلك على ما قد لهج أهل زماننا في أربطتهم ومجامعهم »^(١).

والسهرودي (ت ٦٣٠هـ) وهو من أئمة الصوفية ومصنفهم في كتابه: « عوارف المعارف » يرفض هذه الظاهرة المقيتة، وما يصاحبها من سلوكيات شاذة، فهو يقول: « إن أنصف المنصف، وتفكر في اجتماع أهل الزمان وقعود المغني بدفه، والمشبب بشبابته، وتصوره في نفسه، هل وقع مثل هذا الجلوس والهيئة بحضرة النبي ﷺ، وهل استحضروا قولاً وقعدوا مجتمعين لاستماعه، لاشك بأنه ينكر ذلك من حال الرسول ﷺ وأصحابه، ولو كان في ذلك فضيلة تطلب ما أهملوها »^(٢).

وقد رد في مصنفه « عوارف المعارف » حديث أنس رضي الله عنه في تواجد النبي ﷺ وأصحابه لما أنشد الأعرابي: قد لسعت حية الهوى كبدي -والذي استدل به الصوفية واحتجوا به على التواجد أثناء السماع- بقوله: « فهذا الحديث أوردناه مسنداً كما سمعناه ووجدناه، وقد تكلم في صحته أصحاب الحديث، وما وجدنا شيئاً نقل عن رسول الله ﷺ يشاكل وجد أهل

(٣) عوارف المعارف ص (١٨٩).

(٤) الرسالة القشيرية ص (٥٦٥).

(٥) أولاس: حصن على ساحل بحر الشام من نواحي طرسوس، فيه حصن يسمى حصن الزهاد. انظر معجم البلدان (٢٨٢/١).

(٦) تلبس إبليس ص (٢٥٠).

(١) الغنية لطالبي طريق الحق، عبدالقادر الجيلاني (المكتبة الشعبية) (١٦٧/٢).

(٢) عوارف المعارف ص (١٧٥).

هذه بعض أقوال أئمة ومشايخ الصوفية على أتباعهم فياليت صوفية هذا الزمان، يستجيبون لكلام هؤلاء الأئمة الكبار، ويتركون هذا السماع ومتولداته من الصعق، والرقص، والزعم، وتمزيق الثياب وغيرها، ويتركون الذكر المصاحب للطلل والمزمار والرقص والمعارف؛ بل ومصاحبة المردان، والاختلاط أحياناً بالنساء الأجنيات، نعوذ بالله من البدع والفتن.

ثانياً: التكاليف الشرعية:

يزعم الصوفية أن هنالك مرتبة إذا وصلها العابد الصوفي، سقطت عنه التكاليف الشرعية، وحلت له المحرمات.

ودعوى الوصول عند الصوفية، يتأولون بها قوله تعالى: ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩] أي تصل إلى مقام المكاشفة، فعندئذ تسقط وترفع عنك التكاليف الشرعية، حتى قالوا: إن العبد إذا بلغ غاية المحبة وصفا قلبه من الغفلة، واختار الإيمان على الكفر، سقط عنه الأمر والنهي، ولا يدخله الله النار بارتكاب الكبائر، وتسقط عنه العبادات الظاهرة وتكون عبادته التفكير^(٥).

يقول القشيري في تفسير الآية: "الترم شرائط العبودية إلى أن ترقى بل تُكفَى بصفات الحرية"^(٦).

ويقول أيضاً مؤكداً مزاعم الصوفية، رفع التكاليف

الكبار - أن هذا السماع هو سماع أهل الباطل فهو يقول: « سماع الأوتار والمزامير والمعارف والكونة والطلل سماع أهل الباطل، وهو المحذور المنهي عنه بالأخبار الصحيحة المروية عن رسول الله ﷺ »^(١).

وقال أبو محمد الجبري وهو من أكابر مشايخ الصوفية: « من استولت عليه النفس صار أسيراً في حكم الشهوات محصوراً في سجون الهوى فحرّم الله على قلبه الفوائد فلا يستلذ بكلام الحق تعالى، ولا يستحليه، وإن كثر ترداده على لسانه »، وذكر عند بعض العارفين أصحاب القصائد فقال: هؤلاء الفرّارون من الله لو ناصحوا الله وصدقوا لأفادهم في سرائرهم ما يشغلهم عن كثرة التلاقي »^(٢).

وقد ردّ القشيري أحد أئمة الصوفية على غلاتهم في مسألة جواز النظر إلى الأمرد وقال قولاً عظيماً في الرد عليهم وكشف فضائحهم قائلاً: « ومن ابتلاه الله بشيء من ذلك فهو عبد أهانه الله وخذله وكشف عورته، وأبدى سوائته في العاجل وله عند الله سوء المنقلب في الآجل »^(٣).

وهذا الواسطي وهو من كبار الصوفية يقول: « إذا أراد الله تعالى هوان عبد ألقاه إلى هؤلاء الأنتان والجيف »^(٤).

(١) اللع للطوسي ص(٣٤٨).

(٢) الرسالة القشيرية ص(٩٥-٩٦)، وانظر نزهة الأسماح في مسألة السماع، لابن رجب الحنبلي، تحقيق الوليد الفريان، ط١، الرياض، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٠٧هـ، ص(١٠١).

(٣) الرسالة القشيرية ص(٥٧٧).

(٤) الرسالة القشيرية ص(٥٧٧).

(٥) انظر: إتحاف السادة المتقين ٢/٢٨٤. ولا شك أن ذلك - والعياذ بالله - كفر وزندقة وتفسير للآية على غير مرادها عند السلف الصالح وهو (الموت).

(٦) لطائف الإشارات للقشيري. قدم له وحققه وعلق عليه د. إبراهيم بسيوني ط٢ (الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٩٨١م) ٢/٢٨٣.

الشرعية: " الكيس من كان يحكم وقته، إن كان وقته الصحو فقيامه بالشرعية وإن كان وقته المحو، فالغالب عليه أحكام الحقيقة^(١).

وعلى هذا القول، فإن العارف الصوفي في حالة المحو، ترفع عنه التكاليف الشرعية!!.

لذا قال أحمد بن عطاء^(٢): "العارف لا تكليف عليه"^(٣).

وجعلت الصوفية التكاليف الشرعية من عبادات وغيرها، مقتصرة على علماء الشريعة -أهل السنة والجماعة- ويزعمون من وراء ذلك، عدم صلاحية قلوبهم لمعرفة الله!!.

يقول أبو طالب المكي:

إنَّ الله سبحانه اطلع على قلوب طائفة من عباده، فلم يرها تصلح لمعرفته، ولا موضعاً لمشاهدته، فرحمها، فوهب لها العبادات والأعمال الصالحة^(٤).

ومن صور خروجهم على الشريعة بحكم رفع التكاليف عنهم: ما نقل عن أبي يزيد البسطامي، أنه أخرج من كفه رغيفاً وأخذ في أكله في المدينة، وكان هذا في شهر رمضان^(٥).

كما نقل عن رجل من المتصوفة، كان يحضر

الملاهي، ويعمل عمل أهل البدع ويقول: هذا لا يؤثر ؛ لأنني وصلت إلى مقام لا يؤثر فيّ معه الاختلاف^(٦).

وقالوا بأن التكاليف الشرعية، من أمر بالمعروف ونهي عن المنكر، تسقط عن العبد وجوباً، أثناء خلوته واعتزاله الناس^(٧).

ونقل عن الشبلي قوله: "يا ويلاه إن صليت جددت، وإن لم أصل كفرت"^(٨).

وتتضح دعوى إسقاط التكاليف ورفعها عنهم، من خلال هذه الأبيات الشعرية، لمحدثهم محمد بن طاهر المقدسي، الذي يقول فيها:

دع التصوف والزهد الذي اشتغلت به	جوارح أقوام من الناس
وعج على دير به الرهبان	ما بين قسيس وشماس
وأشرب معتقة من كف كافر	تسقيك خميرين بين لخط ومن
ثم استمع رنة الأوتار من رشاً	كأس
غني بشعر امرئ في البأس مشتهر	تسقيك طرفة أمضى من الماس
لولا نسيم بذكرهم يروحني	مدون عندهم في صدر قرطاس
	لكنك محترقاً من حر أنفاس ^(٩)

فالمقدسي هنا، يدعو إلى معايشة النصارى في أديرتهم، وتحليل شرب الخمر ونزى الصوفية، وهم يقللون من شأن العلوم الشرعية، ويغمزون العلماء، ويحاولون بوسائل شتى، صدّ المريدين عن طلب العلم الشرعي.

(١) الرسالة القشيرية ص ١١٨

(٢) أحمد بن عطاء: أبو العباس، أحمد بن محمد بن سهل بن عطاء، من مشايخ الصوفية، توفي سنة تسع أو إحدى عشرة وثلثمائة من الهجرة. انظر: الطبقات الكبرى، عبد الوهاب الشعراني، ط ١، بيروت، دار الجيل، ١٤٠٨هـ، ٩٥/١.

(٣) الطبقات الكبرى ٩٦/١.

(٤) قوت القلوب، لأبي طالب، محمد المكي، القاهرة، مطبعة الأنوار المحمدية، ١٤٠٥هـ، ٦١/٢. يقصد بذلك أهل السنة والجماعة!!.

(٥) انظر: كشف المحجوب ص ٧٨.

(٦) انظر: روضة الناظرين وخلاصة مناقب الصالحين. أحمد الوترى. ص ٥٣، والحلية ٣٥٦/١٠.

(٧) حياة القلوب بهامش قوت القلوب ١٠١/٢.

(٨) التعرف ص ١٦١.

(٩) مرآة الزمان في تاريخ الأعيان أبي المظفر، يوسف بن الجوزي، تحقيق ودراسة د. مسفر الغامدي، مكة المكرمة، جامعة أم القرى، ١٤٠٧هـ، ٥٨٥/٢.

التكاليف الشرعية عنهم كثيرة، تتضح من خلال تراجم ساداتهم وكبرائهم، وهكذا تبين لنا كيف ادعى الصوفية، سقوط التكاليف من صلاة، وصيام، واستباحة للمحرّمات، بدعوى وصولهم إلى مقام اليقين المزعوم.

موقف الصوفية المعتدلين:

شطحات المتصوفية، لم تجد قبولا حتى لدى بعض مشايخ وأئمة الصوفية، ومن باب الأمانة العلمية، ومن الأهمية بمكان بيان أقوالهم في هذا الشأن، من باب إلجام الخصم وإقامة الحجة عليه، بشهادات أهلها.

لذا رأيت أن أفرد أقوال هؤلاء الأئمة والمشايخ والسادات الصوفية في هذا الجزء الخاص بهم في هذا البحث، لتكون شهادات موثقة للتاريخ من باب أن الحكمة ضالة المؤمن أنا وجدها فهو أحق بها.

يقول الغزالي -وهو أحد أئمتهم الكبار وهو المرجع المعتبر لديهم-: « ومن هؤلاء طائفة ظنت أن المقصود من العبادات المجاهدة، حتى يصل العبد بها إلى معرفة الله تعالى، فإذا حصلت المعرفة فقد وصل، وبعد الوصول يستغني عن الوسيلة والحيلة، فتركوا السعي والعبادات، وزعموا أنه ارتفع محلهم في معرفة الله سبحانه عن أن يمتنعوا بالتكاليف، وإنما التكاليف على عوام الخلق »^(٤).

على سبيل الإنكار على الصوفية، يقول القشيري -

فقد نقل أبو طالب المكي، عن الحسن بن علي الدامغاني^(١) قوله: " كان رجل من أهل بسطام^(٢) لا ينقطع عن مجلس أبي يزيد البسطامي، ولا يفارقه، فقال له ذات يوم: يا أستاذ، منذ ثلاثين سنة أصوم الدهر لا أفطر، وأقوم الليل لا أنام، ولا أجد في قلبي شيئا من العلم الذي تذكر، وأنا أصدق به وأحبه، فقال له أبو يزيد: لو صمت ثلاثمائة سنة وقمت ليلتها ما وجدت من هذا ذرة. قال: ولم؟ قال: لأنك محجوب بنفسك، قال: أفلهذا دواء؟ قال: نعم قال: قل لي حتى أعلمه، قال: لا تقبل، قال فاذكره لي قال: اذهب الساعة إلى المزين واحلق رأسك ولحيتك!! وانزع هذا اللباس، واتزر بعباءة، وعلّق في عنقك مخلاة مملوءة جوزاً واجمع الصبيان حولك، وقل كل من صفعني صفعة أعطيته جوزة، وأدخل الأسواق كلها عند من يعرفك وأنت على ذلك، فقال الرجل: سبحان الله، تقول لي مثل هذا. فقال أبو يزيد: قولك سبحانه الله شرك، قال كيف؟ قال لأنك عظمت نفسك. فسبحتها، قال: هذا لا أفعله، ولكن دلني على غيره قال: ابتدئ بهذا قبل كل شيء، فقال: لا أطيقه، فقال: قد قلت لك أنك لا تقبل "^(٣).

وهكذا فالروايات والحكايات، حول زعم الصوفية رفع

(١) لم أقف له على ترجمة فيما لديّ من مراجع.

(٢) بسطام: بالكسر ثم السكون، بلدة كبيرة بقومس على جادة الطريق إلى نيسابور بعد دامغان، منها أبو يزيد البسطامي. انظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٩ هـ، ٤٢١/١.

(٣) قوت القلوب ٨٦/٢، والنور من كلمات أبي طيفور، للسهلي، ضمن كتاب شطحات الصوفية، عبدالرحمن بدوي، ط٢، الكويت، وكالة المطبوعات، ١٩٧٦م، ص ١١٣-٢١٢.

(٤) الإحياء (٣/٢٣٠).

وهو من كبار أئمتهم ومشايخهم: «وارتحل عن القلوب حرمة الشريعة، فعدّوا قلة المبالاة بالدين أوثق ذريعة ورفضوا التميز بين الحلال والحرام، ودانوا ترك الاحترام، وطرح الاحتشام، واستخفوا بأداء العبادات، واستهانوا بالصوم والصلاة، وركضوا في ميدان الغفلات وركنوا إلى اتباع الشهوات. وقلة المبالاة بتعاطي المحظورات، والإنفاق بما يأخذونه من السوق والنسوان، وأصحاب السلطان، ثم لم يرضوا بما تعاطوا من سوء هذه الأفعال، حتى أشاروا إلى أعلى الحقائق والأحوال، وادّعوا أنهم تجرّدوا عن رق الأغلال، وتحقّقوا الوصال، وأنهم قائمون بالحق تجري عليهم أحكامه، وهم محو، وليس لله عليهم فيما يؤثرون به ويذرونه عتب ولا لوم، وأنهم كوشفوا بأسرار الأحدية، واختطفوا عنهم باب الكلية، وزالت عنهم أحكام الشريعة»^(١).

وقد رفض الجنيد -وهو سيد الطائفة عندهم-، الفصل بين المعرفة والعبادة، فقد روى أنه ذكر رجل المعرفة وقال: أهل المعرفة بالله -يعني الصوفية- يصلون إلى ترك الحرّيات، من باب البر والتقرب إلى الله تعالى.

فردّ الجنيد على ذلك بقوله: إن هذا قول قوم تكلموا بإسقاط الأعمال، وهي عندي عظيمة، والذي يسرق ويزني أحسن حالاً من الذي يقول هذا، فإن العارفين لله تعالى، أخذوا عن الله تعالى، وإليه رجعوا فيها^(٢).

كما رد السهرودي في عوارفه -وهو من أئمتهم الكبار-، مزاعم الصوفية في إسقاط التكليف عنهم بقوله: «فقوم من المفتونين سمّوا أنفسهم ملامتية، ولبسوا لبسة الصوفية لينتسبوا بها إلى الصوفية، وما هم من الصوفية بشيء، بل هم في غرور وغلط، يتسترون بلبسة الصوفية توقيتاً تارة، وينتهجون مناهج أهل الإباحة، ويزعمون أن ضمايرهم خلصت إلى الله تعالى، ويقولون: هذا هو الظفر بالمراد والارتسام بمراسيم الشريعة رتبة العوام، والقاصدين الأفهام المنحصرين في مضيق الاقتداء تقليداً، وهذا هو عين الإلحاد والزندقة والأبعاد، فكل حقيقة ردتها الشريعة، فهي زندقة، وجهل هؤلاء المغرورون أن الشريعة حق العبودية، والحقيقة هي حقيقة العبودية، ومن صار من أهل الحقيقة تقيّد بحقوق العبودية، وصار مطالباً بأمور وزيادات بها من لم يصل إلى ذلك، لا أنه يخلع عن عنقه ربة التكليف ويخامر باطنه الزيف والتحريف... ومنهم من يستبح النظر إلى المستحسنات»^(٣).

ويقول الطوسي -وهو من كبار مشايخهم-: «زعمت الفرقة الضالة في الحظر والإباحة، أن الأشياء في الأصل مباحة، وإنما رفع الحظر للتعدي، فإذا لم يقع التعدي، تكون الأشياء على

وعوارف المعارف، عمر السهرودي، القاهرة، مكتبة القاهرة، ١٣٩٣ هـ ص (٧٧-٧٨).
(٣) عوارف المعارف (٧٦-٧٧، ٧٨).

(١) الرسالة القشيرية ص (٢٠-٢١).
(٢) الرسالة القشيرية ص (٨٧). طبقات الصوفية ص (٣٦-٣٧)،

والأحكام والحلال والحرام» (٢).

كما أنكر عليهم الجنيد -وهو سيد الطائفة عندهم-، عندما سئل عن قوم يقولون بإسقاط التكاليف، ويزعمون أن التكاليف، إنما كانت وسيلة إلى الوصول، وقد وصلنا، فقال: صدقوا في الوصول ولكن إلى سقر (٣).

نستطيع الرد على القوم بكلام إمام مَن يدعون أنه من أئمتهم، فقد أنكر عبدالقادر الجيلاني على معتقد غلاة الصوفية، وزعمهم أن التكاليف الشرعية تسقط عن السالك في حال من الأحوال، ووصفهم رحمهم الله بالزندقة فقال: «ترك العبادات المفروضات زندقة، وارتكاب المحظورات معصية، لا تسقط الفرائض عن أحد في حال من الأحوال» (٤).

كما وقف في وجه هذه الدعوى الباطلة، وذلك عندما زعم له الشيطان بأنه الله وأنه رفع عنه التكاليف، فسارع -رحمه الله- إلى تكذيبه، ولسان حاله يقول: إن التكليف لم يرفع عن الرسول ﷺ فكيف يرفع عني؟! (٥).

كما أنكر عليهم الغزالي -من كبار أئمتهم- اعتقادهم بإسقاط التكاليف الشرعية قائلًا: «... وفرقة وقعت في الإباحة وطووا بساط الشرع، ورفضوا الأحكام

أصلها من الإباحة وتأولوا قول الله ﷻ: ﴿فَأُتْبِئْنَا فِيهَا حَبًّا﴾ (٢٧) وَعَبًّا وَقَضْبًا (٢٨) وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا (٢٩) وَحَدَائِقَ غُلْبًا (٣٠) وَفِكَهَةً وَأَبَّا (٣١) مَتَّعًا لَكُمْ وَلِأَنعَمِكُمْ (٣٢) ﴿ [عبس: ٢٧، ٣٢] قالوا: هذا على الجملة غير مفصل، فاداهم ذلك بجهلهم إلى أن طمعت نفوسهم بأن المحظور الممنوع منه المسلمون: مباح لهم، إذا لم يتعد ما في تناوله؛ وإنما غلطوا في ذلك بدقيقة خفيت عليهم من جهلهم بالأصول، وقلة حظهم من علم الشريعة، ومتابعتهم شهوات النفس في ذلك ... فظننت هذه الطائفة الضالة بالإباحة لأن ذلك كان منهم على كل حال، جاز لهم ترك الحدود، أو أن يجاوزوا حد متابعة الأمر والنهي، فوقعوا من جهلهم في النية، وتاهوا وطلبوا ما مالت إليه نفوسهم من اتباع الشهوات، وتناول المحظورات، تأويلًا وحيلاً، وكذباً وتمويهاً» (١).

ويقول السهروردي -وهو من كبار مشايخهم- على سبيل الإنكار عليهم في اعتقادهم بسقوط التكاليف: «ومن أولئك قوم يزعمون أنهم يغرقون في بحار التوحيد، ولا يثبتون، ويسقطون لنفوسهم حركة وفعلاً، ويزعمون أنهم مجبورون على الأشياء، وأن لا يقل لهم مع فعل الله، ويستترسلون في المعاصي، وكل ما تدعو النفس إليه، ويركنون إلى البطالة، ودوام الغفلة، والاغترار بالله، والخروج من الملة، وترك الحدود

(٢) عوارف المعارف ص (٧٩).

(٣) انظر: البواقيت والجواهر، عبد الوهاب الشعراني، مصر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٣٧٨ هـ (١/٥١).

(٤) الفتاح الرباني والفيض الرحمان، عبدالقادر الجيلاني، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٨ هـ ص (٤٠).

(٥) انظر: الطبقات الكبرى، عبد الوهاب الشعراني، ط ١، بيروت، دار الجيل، ١٤٠٨ هـ (١/٢٧).

(١) اللع في التصوف، لأبي السراج الطوسي، تحقيق د. عبد الحليم محمود، مصر، دار الكتب الحديثة، ١٣٨٠ هـ ص (٥٣٨-٥٣٩).

وسوّوا بين الحلال والحرام، فبعضهم يزعم أن الله مستغن عن عملي، فلم أتعِبْ نفسي ...، ويزعمون أنهم قد ترقّوا عن رتبة العوام، واستغنوا عن تهذيب النفس بالأعمال البدنية، وأن الشهوات لا تصدهم عن طريق الله خطيئة واحدة ... وذلك بناء على أغاليط ووساوس يخدعهم الشيطان بها»^(١).

وحمل على هؤلاء المبتدعة وكفرهم وحثّ على قتلهم وتطهير المجتمع الإسلامي منهم قائلاً: « ومن جنس ذلك ما يدعيه بعض من يدّعي التصوف أنه قد بلغ حاله بينه وبين الله أسقطت عنه الصلاة وحلّ له شرب الخمر والمعاصي وأكل مال السلطان، فهذا ممن لا شك في وجوب قتله، وإن كان في الحكم بخلوده في النار نظر وقتل مثل هذا أفضل من قتل مائة كافر إذ ضرره في الدين أعظم وينفتح باب من الإباحة لا ينسد »^(٢).

وقد بين القشيري حال هذه الطائفة فقال: « ثم اعلموا رحمكم الله، أن أكثر المحققين من هذه الطائفة، انقرض أكثرهم ولم يبق في زماننا هذا، من هذه الطائفة إلا أثرهم ».

ثم قال: «... وقد حصل الضعف في هذه الطريقة، لا بل اندرست، وقد مضى الشيوخ الذين كان بهم اهتداء، وقل الشباب الذين كان لهم بسيرهم وسنتهم اقتداء، وزال الورع وطوى بساطه، واشتد الطمع وقوي

رباطه، وابتعدت عن القلوب حرمة الشريعة، فعدوا قلة المبالاة بالدين أوثق ذريعة، ورفضوا التمييز بين الحلال والحرام، كما استخفوا بأداء العبادات، واستهانوا بالصوم والصلاة... وادعوا أنهم تحرروا عن رق الأغلال... وليس لله عليهم فيما يؤثرونه أو يذرونه عتب ولا لوم »^(٣).

ومن جمهور الصوفية من يقرر أن التكاليف الشرعية لا تسقط عن المكلف بأي حال من الأحوال، حتى ولو بلغ درجة الوصول كما يزعمون! بل أن الوقوف عند حدود الشريعة والتمسك بأحكامها، هو المقياس الذي يحكم به على صدق الصوفي الواصل مهما ظهرت عليه من كرامات وأحوال، وفي ذلك يقول أبويزيد البسطامي صاحب الشطحات المعروفة: « لو نظرتم إلى رجل أعطي من الكرامات حتى ارتقى في الهواء فلا تغتروا به، حتى تنتظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهي، وحفظ الحدود، وأداء الشريعة »^(٤).

ونجد البعض يشدد في هذا الأمر إلى درجة أنهم يعتبرون أن من أخلّ بفريضة من الفرائض أو ضيعها، يوشك أن يضيع دينه، ويسقط في مهاوي البدعة، وفي هذا الشأن يقول أحدهم وهو أبو محمد عبدالله بن منازل: « لم يضيع أحد فريضة من الفرائض إلا ابتلاه الله تعالى بتضييع السنن، ولم يبل أحد بتضييع السنن، إلا أوشك أن يبتلى بالبدع »^(٥).

(١) الإحياء (٤٠٥/٣).

(٢) (فصل التفرقة بين الإسلام والزندقة). أبو حامد الغزالي. اعتناء بطبعه وتصحيحه وبعض التعليقات عليه. مصطفى القباني الدمشقي ط١ (مصر: مطبعة الترقى-١٣١٩هـ) ص(٦٠).

(٣) القشيرية ص(٣٦، ٣٧).

(٤) الرسائل القشيرية ص(١٤).

(٥) الرسائل القشيرية ص(٢٦).

الخاتمة

الحمد لله الذي يسّر، ووفّق، وأعان على إتمام هذا البحث، بهذه الصورة التي أرجو أن أكون قد وفّقتُ في بيان المطلوب على وجه الحق.

وبعد فهذه أهم النتائج والتوصيات، التي توصلتُ لها بهذا البحث؛ فقد وقفتُ على تعريف الصوفية في اللغة، وفي الاصطلاح عند الصوفية، وعند غيرهم من العلماء، والمؤرخين المهتمين في دراسة الفرق والطوائف في تاريخ المسلمين، وقد تبين، لي اختلاف الصوفية وأهل العلم في تحديد معنى التصوف، إلى أقوال متعددة ومتباينة، إلا أن نسبتهم إلى الصوف هو الأقرب، كما سبق بيانه، ومع ذلك لا يمكن ترجيح أي من التعاريف الاصطلاحية للتصوف، لأن تعريف الصوفية للتصوف، يكتنفها الغموض، وتطغى عليها الإشارات والعبارات العامة.

وعرّفتُ السماع، وعرضتُ بعض الأقوال والبدع فيه، من خلال أقوال الصوفية أنفسهم ومن كتبهم المعتبرة، ثم أعقبْتُ ذلك بموقف الصوفية المعتدلين، الناقد والمنكر لسلوكيات المتصوفة مع السماع ومع متولداته.

بعد ذلك عرضتُ أقوال المتصوفة ودعاواهم حول إسقاط التكاليف والأحكام الشرعية، بدعوى بلوغهم لدرجة اليقين، الذي فهموه على غير مراد الشارع الحكيم له، وهو (الموت) ثم أعقبْتُ ذلك بأقوال مشايخ وأئمة الصوفية المنكرة لدعوى أتباعهم، حتى تقوم الحجة عليهم.

ولعلي في هذه الخاتمة أشير إلى أشهر هؤلاء المعتدلين من الصوفية، الذين أنكروا، وردوا على بدع أقوامهم في دعاوى السماع، وإسقاط التكاليف، ومنهم على سبيل المثال لا الحصر:

الروذباري من كبار الصوفية.

الجنيد، المسمى عندهم بسيد الطائفة.

عبدالقادر الجيلاني، من كبار مشايخ الصوفية.

السهروردي، من كبار أئمة الصوفية ومصنفيهم.

الطوسي، أحد أئمة الصوفية ومصنفيهم.

القشيري، أحد كبار أئمة الصوفية ومصنفيهم.

الغزالي، من كبار أئمة الصوفية ومصنفيهم.

وفي الختام، أرجو من أتباع الصوفية، لاسيما في هذا العصر؛ الاقتداء بهؤلاء المعتدلين منهم، وهم

كبار، ومشايخ، وأئمة، ومصنفين، لهم اعتبارهم.

والله الهادي إلى سواء السبيل

وصلّى الله على نبينا محمد

المراجع

فهرس المراجع والمصادر

١- إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي، بيروت، دار المعرفة.

٢- آداب المريدين، للسهروردي، تحقيق فهم شلتوت، القاهرة، دار الوطن العربي.

٣- الأعلام خير الدين الزركلي ط ١٠ (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٩٢م).

٤- البداية والنهاية (بيروت: دار الفكر) بدون طبعة وسنة نشره).

- ٥- تاريخ الفكر العربي د. عمر فروخ (بيروت: دار العلم للملايين - ١٣٩٢هـ).
- ٦- تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة. أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني (الهند: مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية - ١٣٧٧هـ).
- ٧- التعرف لمذهب أهل التصوف. أبي بكر محمد الكلاباذي ط٣ (المكتبة الأزهرية للتراث - ١٤١٢هـ).
- ٨- التعرف لمذهب أهل التصوف، أبي بكر، محمد الكلاباذي، ضبطه وعلق عليه وخرج آياته وأحاديثه: أحمد شمس الدين، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ.
- ٩- تلبيس إبليس عبدالرحمن بن الجوزي. تحقيق د. السيد الجميلي. ط٦ (بيروت: دار الكتاب العربي - ١٤١٣هـ).
- ١٠- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء. أبو نعيم أحمد بن عبدالله الأصفهاني. (بيروت: دار الفكر - ١٤١٦هـ).
- ١١- الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب، تخريج أحاديث أبوحازم أسامة بن حسن، وأبو الزهراء علي بهجت ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية - ١٤٠٧هـ).
- ١٢- الرسالة القشيرية في علم التصوف، عبدالكريم القشيري، تحقيق ودراسة هاني الحاج، المكتبة التوفيقية.
- ١٣- الرهص والرقص لمستحل الرقص، إبراهيم محمد الحلبي، دراسة وتحقيق وضبط وتعليق د. صالح السدلان ط١ (الرياض: دار طيبة - ١٤١٠هـ).
- ١٤- روضة الناظرين وخلاصة مناقب الصالحين. أحمد الوتري.
- ١٥- سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي، ط٩، بيروت، مؤسسة الرسالة.
- ١٦- شذرات الذهب لأبي الفلاح عبدالحى بن العماد الحنبلي ط٢ (بيروت: دار المسيرة، ١٣٩٩هـ).
- ١٧- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل الجوهري تحقيق أحمد عبدالغفار عطار، بيروت، دار العلم للملايين، ١٣٨٦هـ.
- ١٨- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، استانبول، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع.
- ١٩- صفة الصفوة لأبي الفرج بن الجوزي، تحقيق محمود فاخوري. تخريج أحاديثه د. محمد رواس قلعجي. ط٢ (بيروت: دار المعرفة - ١٣٩٩هـ).
- طبقات الصوفية. أبي عبدالرحمن السلمي. ترتيب أحمد الشرباصي (مطابع الشعب - ١٣٨٠هـ).
- ٢٠- صفوة التصوف لابن طاهر المقدسي نقلا عن كشف القناع عن حكم الوجد والسماع لأبي العباس أحمد بن عمر القرطبي، تقديم وتحقيق وتخرير د. عبد الله الطريقي، ط١ (١٤١١هـ).
- ٢١- الصوفية والفقراء، ابن تيمية، تقديم د. محمد جميل غازي، جدة، مكتبة المدني ومطبعتها.
- ٢٢- الطبقات الكبرى، عبد الوهاب الشعراني، ط١،

- بيروت، دار الجيل، ١٤٠٨هـ.
- ٢٣- ظهر الإسلام، أحمد أمين، ط٣، بيروت.
- ٢٤- عوارف المعارف. عمر بن محمد السهروردي (القاهرة: مكتبة القاهرة - ١٣٩٣هـ) ص ٦٢، رقم الطبعة بدون.
- ٢٥- الغنية لطالبي طريق الحق، عبدالقادر الجيلاني (المكتبة الشعبية).
- ٢٦- الفتح الرباني والفيض الرحمانى، عبدالقادر الجيلاني، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ.
- ٢٧- الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لابن تيمية (مطبعة معارف لاهور - ١٣٩٧هـ).
- ٢٨- فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة. أبوحامد الغزالي. اعتناء بطبعه وتصحيحه وبعض التعليقات عليه. مصطفى القباني الدمشقي ط١ (مصر: مطبعة الترقى-١٣١٩هـ).
- ٢٩- قراءة في مؤلفات ابن الجوزي، د: ناجية عبدالله إبراهيم (بغداد: منشورات وتوزيع المكتبة العالمية-١٩٨٧م).
- ٣٠- قوت القلوب، لأبي طالب، محمد المكي، القاهرة، مطبعة الأنوار المحمدية، ١٤٠٥هـ.
- ٣١- كتاب السماع، محمد بن طاهر المقدسي، تحقيق أبو الوفاء المراغي (القاهرة: لجنة إحياء التراث الإسلامي - ١٤١٥هـ).
- ٣٢- كشف المحجوب. علي بن عثمان الهجويري. دراسة وتعليق د. إسعاد عبدالهادي قنديل مراجعة د. أمين عبدالمجيد بدوي (بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر - ١٩٨٠).
- ٣٣- لسان العرب، ط٢، بيروت، دار إحياء التراث العربي ١٤١٨هـ.
- ٣٤- لطائف الإشارات للقشيري. قدم له وحققه وعلق عليه د. إبراهيم بسيوني ط٢ (الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٩٨١م).
- ٣٥- اللمع في التصوف، لأبي نصر عبدالله الطوسي، تحقيق عبدالحليم محمود، مصر، دار الكتب الحديثة، ١٣٨٠هـ.
- ٣٦- مجلة الهلال، يونيه ١٩٨٥م، ١٢ رمضان ١٤٠٥هـ.
- ٣٧- مجموع فتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية جمع وترتيب عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، طبعة خادم الحرمين الشريفين. إشراف الرئاسة العامة لشئون الحرمين الشريفين).
- ٣٨- مختار الصحاح للرازي، ترتيب محمود خاطر، وتحقيق وضبط حمزة فتح الله، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٤هـ.
- ٣٩- مرآة الجنان تأليف عبدالله الياضي ط٢ (القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، ١٤١٣هـ).
- ٤٠- مرآة الزمان في تاريخ الأعيان أبي المظفر، يوسف بن الجوزي، تحقيق ودراسة د. مسفر الغامدي، مكة المكرمة، جامعة أم القرى، ١٤٠٧هـ.
- ٤١- مسند الإمام أحمد: بيروت، دار صادر.
- ٤٢- المصادر العامة للتلقي عند الصوفية، صادق سليم صادق، ط١، الرياض: مكتبة الرشد، ١٤١٥هـ.

- ٤٣- معجم البلدان، ياقوت الحموي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٩هـ.
- ٤٤- المعجم الصافي في اللغة العربية. صالح أبي الصالح وأمينه الشيخ سليمان الأحمد ط١ (١٤٠٩هـ).
- ٤٥- معجم المقاييس في اللغة، لأبي الحسن أحمد بن فارس، حققه شهاب الدين أبو عمرو، (بيروت، دار الفكر ١٤١٨هـ).
- ٤٦- معجم مقاييس اللغة: أبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق وضبط عبدالسلام هارون، ط٢(مصر: مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٣٩٠هـ).
- ٤٧- مقدّمة ابن خلدون، عبدالرحمن بن خلدون، ط٦، بيروت، دار القلم، ١٤٠٦هـ.
- ٤٨- الموسوعة الصوفية. د. عبدالمنعم الحنفي ط١ (القاهرة: دار الرشاد - ١٤١٢هـ).
- ٤٩- مؤلفات ابن الجوزي، عبدالحميد العلوجي ط١(الكويت، مركز المخطوطات-١٤١٢هـ).
- ٥٠- نزهة الأسماع في مسألة السماع، لابن رجب الحنبلي، تحقيق الوليد الفريان، ط١، الرياض، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٠٧هـ.
- ٥١- النور من كلمات أبي طيفور، للسهرجي، ، ضمن كتاب شطحات الصوفية، عبدالرحمن بدوي، ط٢، الكويت، وكالة المطبوعات، ١٩٧٦م.
- ٥٢- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لأبي العباس أحمد بن خلكان، تحقيق: د. إحسان عباس (بيروت: دار صادر، ١٩٦٩م).
- ٥٣- اليواقيت والجواهر، عبدالوهاب الشعراني، مصر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٣٧٨هـ.

Dr. Mohammed bin Ahmed Aljwair
Assistant professor in law school at Dar
Al Uloom University

The aim of this research is to show the view of some of the Sufi imams, sheikhs and classifiers, who have denied the behaviors and heresies of Sufism in two important cases: (Alsmāa) and (dropping legal rulings)

In terms of justice and fairness, I evaluated that in this research, focus needs to be made on the views of these Sufis, who we think are moderate, and have rejected the claims of their yields, and denied them, by conveying their words from their books, the sayings of their sheikhs, and their imams, who denied their people, their practices, and their behaviors. In Alsmāa suits and their generators (dancing, skipping, screaming, shouting, slapping, tearing clothes, etc.). And to drop the legal rulings, until the argument is made against them,

And the monitoring of responses and denials of these Sufi sheikhs and imams, may have been informed through the guidance of their member